

«كلمات سبارتكوس الأخيرة» ملحمة عاشت ألفي عام وأكثر

أمل دنقل: لا تحلموا بعالم سعيد فخلف كل قيصر يموت قيصر جديد



أمل دنقل شاعر معجون بالكلمات

تُرى: حين أفقا عينيك، ثم أثبتت جوهرتين مكانهما، هل ترى؟ هي أشياء لا تُشترى.
ربما ننفق كل العمر كي نقب ثغرة ليمر النور للأجيال مرة.
حياة أمل دنقل الشخصية القصيرة لم تكن خالية هي الأخرى من الآلام، عام 1976 التقى الصحافية عبلة الرويني، التي عملت في جريدة الأخبار، ونشأت بينهما علاقة عاطفية استمرت إلى أن تزوجا عام 1978. لم يكن لديهما مسكن ثابت ولا مال كاف، واضطرا للتنقل بين الفنادق والغرف المروشة.
من بقرا قصائد دنقل يظن أن الشاعر عاش ألفي عام، ولكنه عاش حياة قصيرة لا تتجاوز 43 عاما، أصيب في السنوات الأخيرة منها بالسرطان، وظهرت معاناته مع المرض في مجموعته "أوراق الغرفة 8" وهو رقم غرفته في المعهد القومي للأورام، والذي قضى فيه ما يقارب الأربع سنين.

لو كانت السلطة تتيح لترامب تعليق المحتجين على الأعمدة لفعل ما فعله قيصر روما بسبارتكوس ورفاقه

توفي يوم 21 مايو 1983 وبذلك انتهت حياته، وبعد فترة من النسيان، عاد طائر الفينيق ليظهر من جديد مع أحداث الربيع العربي.
أعاد المصريون اكتشاف شعر أمل دنقل، وتحولت أبيات قصائده إلى رسوم جرافيتي في شوارع القاهرة والإسكندرية، لنقرأ جملا مثل "لا تصالح" و"خلف كل قيصر يموت.. قيصر جديد".
وفي خريف 2010، قام فنان جرافيتي برسم أبيات شعرية من "كلمات سبارتكوس الأخيرة" على كورنيش الإسكندرية احتجاجا على عزم الرئيس المصري الراحل محمد حسني مبارك توريث الحكم لابنه.
بعبارة واحدة خلد الشابي الذي قال "إذا الشعب يوما أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر"، وبعبارة واحدة أوقف أمل دنقل التاريخ على أطراف أصابعه:

لا تصالح
ولو منحوك الذم
أثرى حين أفقا عينك
ثم أثبت جوهرتين مكانهما
هل ترى؟
هي أشياء لا تُشترى.

أطلق عليه والده اسم "أمل" بسبب النجاح الذي حققه بعد ولادته في نفس السنة التي حصل فيها على إجازة العالمية. عُرف أمل بالبهاثة والذكاء والجد تجاه دراسته، وقد التحق بمدرسة ابتدائية حكومية أنهى فيها دراسته سنة 1952.

انتقل دنقل إلى القاهرة ليدرس في كلية الآداب بعد أن أنهى دراسته الثانوية في قريته، لكنه انقطع عنها ليعمل في عدة أعمال لاحقا، فقد عمل موظفا بمحكمة قنا وجمارك السويس والإسكندرية، ومن بعدها في منظمة التضامن الأفرو-آسيوي. لكن شغفه في كتابة الشعر جذب اهتمامه وجعله يترك أية وظيفة يبدأ بها.

كانت القاهرة بالنسبة للشباب الصعيدي عالما ساحرا عجائبا ولم يتأقلم فيها بداية بشكل جيد، وظهر ذلك بوضوح في أشعاره الأولى. استوحى دنقل قصائده من رموز التراث العربي وعلى غرار الشعراء الآخرين في تلك الفترة الذين تأثروا بالميثولوجيا الغربية واليونانية خاصة، وعاصر فترة أحلام العروبة والثورة المصرية وساهم ذلك في شحذ نفسيته.

عبر عن صدمته بانكسار مصر عام 1967 في قصيدة رائعة بعنوان "البكاء بين يدي زرقاء اليمامة" ومجموعة شعرية بعنوان "تعلق على ما حدث".
أطلق رائعته قصيدة "لا تصالح" بعد معاهدة السلام وضياع النصر، وعبر فيها عن كل ما جال في خاطر المصريين. كان تأثير المعاهدة وأحداث شهر يناير عام 1977 واضحا في مجموعته "العهد الآتي".

كان على صدام مستمر مع السلطات المصرية بسبب موقفه من عملية السلام، وهاجم آلاف المتظاهرين بأشعاره أثناء احتجاجهم في الطرقات.
مثل أمل دنقل مصر وبيئته الصعيدية وناسها، وتأثرت أشعاره بقوميته وعروبه القوية، وهذا ما عبر عنه بشكل واضح في قصيدته "الجنوبي" في آخر مجموعة شعرية له بعنوان "أوراق الغرفة 8".

كان ديوانه الأول الذي صدر عام 1969 بعنوان "البكاء بين يدي زرقاء اليمامة" هو الذي شهره عربيا، وجسد فيه إحساس الإنسان العربي بنكسة 1967.
وينزل المطر ويرحل المطر وينزل المطر ويرحل المطر والقلب يا حبيبي ما زال... ينتظر.

ذراع
فعلوه الانحناء...
علموه الانحناء...
علموه الانحناء...

ما حدث عام 73 قبل الميلاد، ظل يتكرر كل عام، وها هو يحدث الآن في أكثر من مكان وعلى أكثر من شكل.
منذ أن تعلمت قرطاجة معنى الركوع ونحن نركع، وتعلم أطفالنا الانحناء.

من أصدق قولا؛ الشابي الذي قال "إذا الشعب يوما أراد الحياة" أم أمل دنقل الذي قال "إني تركت زوجتي بلا وداع، فإن رأيتم طفلي علموه الانحناء".
فأخبروه أنني انتظرتك مدني على أبواب روما" المهجدة وانتظر شيوخ روما - تحت قوس النصر - قاهر الأبطال

ونسوة الرومان بين الزينة المعردة ظللن ينتظرن مقدم الجنود ذوي الرؤوس الأظلسية المجعدة لكن "هانبيال" ما جات جنوده المجعدة فأخبروه أنني انتظرتك.. انتظرتك لكنه لم يأت وأنتي انتظرتك.. حتى انتهت في جبال الموت وفي المدى: "قرطاجة" بالنار تحترق "قرطاجة" كانت ضمير الشمس: قد تعلمت معنى الركوع

والعنكبوت فوق أعناق الرجال والكلمات تحترق يا إخوتي: قرطاجة العذراء تحترق ففتكروا زوجاتكم
إني تركت زوجتي بلا وداع وإن رأيتم طفلي الذي تركته على ذراعيها.. بلا

من التاريخ إلى التراث، إلى الحكاية، إلى الأسطورة، إلى الدين، إلى المسرح، إلى السينما فإلى مخزون إيقاعي ولغوي خصب وتركيب معقد وثقافة شعرية واسعة ومرجعيات شعرية عربية قديمة وحديثة وأجنبية وشرقية وغربية مما جعلت قصيدته كأنها اختزال لثقافة الحدائق الشعرية بأكملها.

من هو أمل دنقل؟

محمد أصل فهيم أبو القاسم محارب دنقل، وُلد عام 1940 في أسرة صعيدية. كان والده عالما من علماء الأزهر، مما أثر في شخصية أمل دنقل وقصائده بشكل واضح.
امتلك دنقل مكتبة ضخمة ضمت الكثير من كتب الفقه والشريعة والتفسير ونخائر من التراث العربي، وكان ذلك ما كَوّن اللبنة الأولى لهذا الأديب.

إن تكتب عبارات تلخص التاريخ، وتحكي قصص الماضي، والحاضر، والمستقبل، لا يكفي أن تكون شاعرا، أو روائيا، أو فيلسوفا، أو مفكرا، أو سياسيا؛ يجب أن تكون بعضا من كل هذا، أو أن تختصر الجميع بشاعر اسمه أمل دنقل، الذي، رغم رحيله عنا، لا يزال مقيما بيننا.

المتحدة إلى الفوضى. وأشار إلى المحتجين الذين حاولوا إسقاط تمثال للرئيس أندرو جاكسون، قرب البيت الأبيض، يعود للقرن التاسع عشر، وكذلك إلى "منطقة مستقلة" أقامها المحتجون في سيااتل على أنهما سببان يدعوان لإبقائه في السلطة.
وقال "ليس هذا سلوك حركة سياسية سلمية. إنه سلوك شموليين ومستبدين وأشخاص لا يحبون بلدنا".
من يحتجون على الظلم العنصري ووحشية الشرطة هم وفق إمبراطور الولايات المتحدة إنسا "يكرهون تاريخنا. هم يكرهون قيمنا ويكرهون كل شيء نقره ونعلي من شأنه كأمريكيين... نحن لا ننحني للمتطرفين اليساريين".
هكذا وبكل وقاحة، كل من خرج محتجا هو شخص مستبد لا يحب بلده، ولو كانت السلطة تتيح لترامب تعليقهم على الأعمدة، لفعل ما فعله قيصر روما بسبارتكوس ورفاقه.

كلمات سبارتكوس الأخيرة

العديد من الأعمال الفنية ترجمت ثورة سبارتكوس على أنها ثورة المنضغفين للحصول على حريتهم ضد إقطاعية وإمبراطورية تقوم على استرقاق الناس واستغلالهم، وكانت مصدر إلهام للعديد من المفكرين والسياسيين، وقد تم عرضها في العديد من الأعمال السينمائية والفنية والأدبية.
ولكن المسكوت عنه قصيدة ملحمية للشاعر أمل دنقل يقول فيها:

المجد للشيطان.. معبود الرياح
من قال "لا" في وجه من قالوا "نعم"
من علم الإنسان تمزيق العدم
من قال "لا".. فلم يمت
وظل روحا أبدية الأمل
معلق أنا على مشانق الصباح
لأني لم أحنها.. حية!
يا إخوتي الذين يعبرون في الميدان مطرقتين منحدري في نهاية المساء
في شارع الإسكندر الأكبر:
لا تخلجوا.. لترفعوا عيونكم لي
لأنكم معلقون جانبي.. على مشانق القيصر
فلترفعوا عيونكم لي
لربما.. إذا التقت عيونكم بالموت في عيني
بيئسم الفتاة داخلي.. لأنكم رفتم رأسكم.. مره!
"سيريف" لم تعد على أكتافه الضمير
يحملها الذين يولدون في مخادع الرقيق
والبحر.. كالصحراء.. لا يروي العطش
لأن من يقول "لا" لا يرتوي إلا من الدموع!
فلترفعوا عيونكم للناظر المشوق
فسوف تنتهون مئة.. غدا
وقتلوا زوجاتكم.. هنا.. على قارعة الطريق
فسوف تنتهون ما هنا.. غدا
فالانحناء م..
والعنكبوت فوق أعناق الرجال ينسج الردى
ففتكروا زوجاتكم.. إنني تركت زوجتي بلا وداع

علي قاسم
كاتب سوري مقيم في تونس

بين العام 1895، الذي يحتفل فيه ذكراه الأميركيون بنهاية العبودية، و عام 73 قبل الميلاد، الذي قُاد فيه سبارتكوس ثورة العبيد في حرب الرقيق الثالثة، 1983 عاما بالتحديد. والآن، بعد مرور 155 عاما على إحياء ذكرى نهاية العبودية، يحق لنا أن نتساءل، هل حقا انتهت العبودية وانتهى الاستغلال في العالم؟
هناك مؤشرات تقول إن العبودية ما زالت تمارس في مناطق مختلفة حول العالم، وعلى رأس تلك الممارسات الترفقة العنصرية التي تميز بين عرق وآخر، وإن الاستغلال يجري في الحياة مجرى الدم في العروق.
يؤكد ذلك ما حدث قبل أيام قليلة من احتفالات الذكرى التي تعرف باسم "جوننتيث"، أي يوم التحرير، الذي أدرك خلاله "العبيد" في غالفستون في تكساس أنهم صاروا أحرارا، بينما تهتز البلاد على وقع توترات عرقية منذ وفاة جورج فلويد، أواخر مايو.

شكلت وفاة الأميركي الأسود اختناقا، في نهاية مايو في مدينة مينيابوليس، بعدما جثا الشرطي الأبيض ديرك شوفين على عنقه لأكثر من ثماني دقائق وسط مناشداته المتكررة بعبارة "اعجز عن التنفس"، الدافع الرئيسي خلف الحركة الاحتجاجية المناهضة للعنصرية.

شكلت وفاة الأميركي الأسود اختناقا، في نهاية مايو في مدينة مينيابوليس، بعدما جثا الشرطي الأبيض ديرك شوفين على عنقه لأكثر من ثماني دقائق وسط مناشداته المتكررة بعبارة "اعجز عن التنفس"، الدافع الرئيسي خلف الحركة الاحتجاجية المناهضة للعنصرية.

يول شاؤول
دنقل صاغ قصيدة مركبة في عمق الواقعية وعمق الإحساس الحدسي

ويعد ستين عاما على حركة الحقوق المدنية، تبقى الأقلية السوداء، مهملة إلى حد كبير. فضلا عن كونها تعاني أكثر من الفقر والإهمال الصحي، فهي أيضا غير ممثلة بما يكفي سياسيا، بينما يشكل السود غالبية نزلاء السجون.

هكذا وبكل وقاحة

ما يحدث اليوم في الولايات المتحدة، يذكرنا بما حدث قبل الفين ومئة عام تقريبا، في روما تمت تصفية ثورة العبيد بصلبهم أحياء على جانبي الطريق، وفي الولايات المتحدة تم صلب المشاركين بالاحتجاجات معنويا.
أسهل تهمة يمكن أن يوجهها أي دكتاتور لمن يخرجون إلى الشارع يتحدون سلطته هي وصفهم بالغوغاء المعادين للوطن. وهذا فعلا ما لجأ إليه الرئيس الأميركي دونالد ترامب. أمام حشد من الشبان تعهد ترامب بمنع من أسماهم "الغوغاء اليساريين" من دفع الولايات



كوب ديس سبارتاكوس، جلدierung von Hermann Vogel.